

فلسطين في باريس

بقلم عبد الله البراهيم

الكتاب ، شيئاً آخر ، غير جهد الباحث ، وغير برودة
ورصانة العالم ، اننا نحس حرارة قلب الصديق .

لقد صدق المستشرق برك ، أو المستعرب كما يجب
أن ندعوه ، عندما ردد حديثاً : « بأنه يصعب على المرء
دراسة حضارة شعب ، بدون أن يحب ذلك الشعب » . .

لقد عرفنا (برك) من خلال كتبه ومن خلال
دراساته ، عالماً ومستعرباً ، خرج بالاستشراق من أرواقه
الضيقة والمنقعة ، الى مجال الأبحاث الجدية والحيوية
والواضحة ، ونعرفه اليوم أكثر من قبل ، نعرفه من
خلال مواقفه المشرفة والجريئة ، ومن خلال دفاعه
المخلص عن القضية الفلسطينية ، أعدل القضايا الانسانية
وأكثر القضايا الانسانية غموضاً في الغرب وفي فرنسا
بالذات ، لماذا ؟ نقطة هامة من واجبتنا الوقوف أمامها ،
ومن واجب المسؤولين عن الاعلام العربي تدارسها بشكل
جدي ، والابتعاد عن الاجوبة السهلة والمريحة ، لماذا كبت
الصهيونية جولتها وربحت الرأي العام في الدول
الراسمالية ، في الوقت الذي يقف فيه ذات الرأي العام
مع القضية الفيتنامية ، ويتحول اليوم الى قوة نضالية
ومقاتلة تساند شعب الفيتنام وتسترذل الولايات المتحدة ؟

هل حصل التغيير المرجو في موقف الرأي العام
الاوروبي - الفرنسي خاصة - من قضيتنا الفلسطينية ؟
أم اننا نعلم عندما نتكلم عن كسب الرأي العام
العالمي ؟

أسئلة كثيرة تحتاج الى دراسات عديدة ، لكننا
نستطيع القول ، بدون مبالغة ، وبعيداً عن أحلام اليقظة ،
بأن تغييراً ملحوظاً طرأ على الرأي العام ، ومن الطبيعي
أن ينطلق الدفاع عن القضية الفلسطينية من الذين
يعرفونها ، من الطبيعي أن يبدأ البروفسور جاك برك وأن
يبدأ مكسيم رودنسون بالكلام ، وأن يقبل بيير كوت ،
الوزير السابق . . ثم تتوسع الحلقة ، وتتعدد الجمعيات
المناصرة للقضية ، ويتحول بعضها الى جمعيات تناضل
من أجل التعريف بأبعاد المأساة وأبعاد الظلم الذي
لحق بالعرب .

أن يكون هناك تفاوت في حدة المواقف من القضية ،
أن يكون هناك بعض (الضبابية) وبعض (التحفظ)
وبعض المناقشات ، هذا طبيعي ، ولكن ما نرفضه هو
تخاذل الذين أردناهم منارات للفكر الملتزم والثوري
والشريف ، أين هم ، أين أصواتهم ؟

عندما فكرت بالكتابة الى « الآداب » ، فكرت
بالكتابة عن الادب والحياة الادبية في باريس ، فلأدب في
تلك المدينة أبعاد وألوان ، تجعل الحديث عنه ممتعاً
ومفيداً ومتجدداً تجدد الكلمات التي تتطور مع الحياة
وغالباً ما تسبق الحياة . .

وأحببت أن أتحدث عن الحروف الجديدة ، بل
شرعت فعلاً بالكتابة عن كتاب (برك) الجديد والقيم ،
الذي صدر عن دار غاليمار تحت عنوان : (مصر ، من
الامبريالية الى الثورة) وسرعان ما أدركت ضيق الرسالة
عن الاحاطة بكل ما تشمله دراسة البروفسور برك من
جوانب جديدة وأضواء تساعدنا اليوم على فهم الجذور
العميقة لثورة ١٩٥٢ ، والدوافع البعيدة التي بدأت تقوى
منذ بدأت النهضة في وادي النيل ، واتخذت شكل العداء
للاستعمار والامبريالية ، والحث على الاحياء الوطني
والانطلاق بالانسان العربي صوب المستقبل المشرق
والمستقل والمسؤول .

يرفض (برك) ، كعالم اجتماع ، الاكتفاء بالتأريخ
الحوادثي - تاريخ الوقائع - بل يتوغل عبر الاحداث ،
هادماً جذران الماضي والحاضر والمستقبل وباحثاً عن
« المحرك » الجوهري والدوافع الاساسية للتغيير
والثورة ، كما ان برك المؤرخ ، يرفض البقاء
ضمن حدود الدراسة الاجتماعية ، المجردة والعقلانية ،
حيث نحترم مهارة الذهن المحلل ، ونضيق ذرعاً بالدراسة
المدرسية ، بل نراه يحاكي أشخاص المرحلة التاريخية ،
العاديين والابطال ، انه يحاكي احمد عرابي وسعد زغلول
وجمال عبد الناصر ، ويربط بين ثورات ١٨٨١ - ١٩١٩ ،
وبين ثورة ١٩٥٢ التي بدأت مرحلة التغيير الواعي
والتطور الهادف والتي حملت بذور التغييرات الجديدة
والجذرية عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ - ١٩٦٨ . . والتي
نستطيع دعوتها بالثورات ضمن الثورة . .

لقد استطاع (برك) النفوذ الى صميم المجتمع
العربي في مصر وصميم مشاكله ، وذلك نتيجة السنوات
الطويلة التي عاشها مع ذلك المجتمع وفي اتون الاحداث ،
ونتيجة الجهود الكبيرة ، والبحث العلمي الدقيق
والصعب ، لانه ليس من السهل دراسة مرحلة تاريخية
ما زلنا نحياها وما زال أبطالها على مسرح ارض الاحداث
وأرض معركة الوجود . .

لكننا نحس شيئاً آخر يشع خلال كل صفحات

شتان بين تحمسه بالامس للدولة الصهيونية وبين المرارة او الحياء الذي نلحظه في كلماته ... انه يؤيد اليوم دفاع الفلسطينيين عن وجودهم ، ولا يرى امكانية استمرار الصهيونية (من شروط السلام ، زوال الصهيونية) قال لي بالامس ولا ادري جوابه بعد اسابيع او بعد اشهر عندما تزداد جرائم الصهيونية ؟

لقد نشرت المجلة في عددها الاخير « بيان الخامس من حزيران » لعلي احمد سعيد (ادونيس) ، ووصف رئيس التحرير هذا البيان بأنه (صرخة غضب ووعي) . .

واراني نسيت كتاب (جمال عبد الناصر) الجريء والحيوي والصادق ، لقد اراد مؤلفه (جاك دومال) وارادت دار النشر (سيفرز) ان يكون الكتاب جوابا على حملات الكذب والتضليل ، وارادوه سهما يققا العيون التي ترفض الرؤية ... وهناك موقف (داستييه دو لا فيجري) الجريء والشريف ، حديثه عن اللاجئين وعن العرب وعن عبد الناصر ، حديثه على التلفزيون الفرنسي ، وفي مجلته (الحادثة) حيث نشر حواراه مع الرئيس ...

وهناك موقف الحزب الشيوعي الفرنسي وموقف المثقفين الشيوعيين ، وهو موقف واضح منذ البداية ، وشريف رغم اعتداله ، ومحوري بالقياس الى ثورية اليسار الاوروبي . لقد ساهمت صحف ومجلات الحزب بفضح الادعاءات الصهيونية والتعريف بالقضية الفلسطينية ، وازداد الموقف وضوحا وجذرية والتزاما بعد النكسة ، بعدما برهنت الاحداث على صدق المخاوف العربية ، وكشفت آخر ستار عن طبيعة الصهيونية العرقية والاستعمارية والتوسعية ... وربما كانت مقالة (ايف مورو) في (الاومانيتيه) بعد العدوان الاخير على الاردن ، بداية موقف جديد . (من النيل الى الفرات) كان عنوان المقال ، وتساءل الكاتب عما اذا كانت اسرائيل تنوي احتلال المناطق الواقعة ما بين النهرين ، لضمان سلامتها ؟ . .

نعم يا صديقنا مورو ، (ولا نهاية للاعتداءات الصهيونية الا بنهاية اسرائيل) . . .

كان هذا موضوع المهرجانين اللذين اقيما لنصرة فلسطين . . وتحدث خلالهما العديد من رجال الفكر والسياسة : برك ، بول غوث ، رودنسون ، دانييل غيرين والبروفسور فنسان مونتييه الذي حكى بصراحة عن الصهيونية وعن تأثير الصهيونية واليهودية على وسائل الاقتصاد والسياسة والاعلام ... (نحن نسمع الاحاديث ونقرأ الكتب عن الاضطهاد الذي عاناه اليهود ، لان روتشيلد يهودي) .

ان صمت الراي العام عن القضية الفلسطينية لم يكن نتيجة لضعف الاعلام العربي فحسب ... بل نتيجة لسيطرة (الراسمال الصهيوني) على الاعلام والوسائل

هل تكلم سارتر ، خرج من صمته الطويل تجاه القضية العادلة ، صمته بعد الكلام المشهور ، الكلام المهتز وغير المشرف ، ام بعده يبحث في قلب المحيطات عن محارات الحقيقة وفي قلب التاريخ او ما قبل التاريخ عن النكبات التي لحقت (بالشعب اليهودي المسكين) . . ام تراه يحكي مع سكرتيره و (حارسه) كلود لانزمان عن أعمال الصهانية (المخرجة) وانه في قرارة نفسه وعندما يتكلم مع المثقفين العرب ، ويعتبر قتل العرب (حادثة) تمس (وجود) الانسان ، وانه يأسف كل الاسف لسوء فهم مواقفه السابقة وأقواله العميقة المعاني والبعيدة المرامي ...

نحن نسأل سارتر ، بكل صراحة وبكل بساطة ، وبدون تعقيد او (تهديد بالانتحار) . . أين المواقف الجديدة والواضحة . . التي تمحو المواقف القديمة ، والغامضة وغير المشرفة ؟

احاديث خاصة ، قلق نفسي او نفساني او وجداني . اننا لا نستطيع ان نبني أحكامنا على الاحاديث الخاصة ، والالام الذاتية ، بالرغم من احترامنا (للقلق) الذي يعاينه سارتر . .

انه ، سارتر ، يدير مجلة جيدة وراقية ومقرووة ، وهو يجيد الخطابة ويجيد الكتابة ، وهو اعلم منا بوسائل الاعلام واقدر منا على نشر وتعريف الناس بما يريد نشره وما يرغب بالتعريف به ، وما دام لا يقف ولا ينشر ولا يعرف بالقضية الفلسطينية ، علنا وبوضوح ، فمعنى ذلك عدم ارادته وعدم رغبته بالدفاع عن قضية الذين يناضلون من أجل الحفاظ على وجودهم ومن أجل مصيرهم .

اسهبت بالكلام عن سارتر وعن موقف سارتر الغامض من قضيتنا ... لاني لا اجهل مكانة فيلسوف (الوجود والعدم) ولا قيمة كاتب (دروب الحرية) ولاننا ما زلنا نأمل ، ومن حقنا الامل بان يتحرر سارتر من حارسه ، وعندنا مثل يقول : « سرق البستان حارسه » . ما زلنا نأمل بان يستفيق سارتر وان يقف من القضية الفلسطينية موقفه من قضية شعب الفيتنام ...

لكن سارتر ليس وحده في موقفه الغامض . ان عددا غير قليل من المثقفين الفرنسيين ما زالوا يقفون موقف الحيرة من القضية الفلسطينية ، ومنهم الذي ناضل من أجل الثورة الجزائرية ومنهم الذي ينتصر لقضية شعب الفيتنام ، لماذا ؟

لان بعضهم ما زال يخلط بين اليهودية والصهيونية ، ولا يكلف نفسه عناء التمييز بين المشكلة اليهودية التي ولدت ونمت في أوروبا ونتيجة التزمت الاوروبي وبين الصهيونية التي تستعمر فلسطين . .

واستطيع القول بدون مبالغة ، ان (دوميناك) رئيس تحرير مجلة الفكر (اسبري) يمثل هؤلاء ، لكن

لقد بدأ الشعب الفلسطيني معركة التحرير ، بدأ عهد
البطولة .
وبدا الرأي العام يردد اسم فلسطين ويجل بطولة
الفدائيين .

نعم ، لقد بدأ الرأي العام ، بدأ الناس في باريس
وفي كل مكان ، يتناقلون أخبار الشعب الذي يخوض
معارك الكرامة !
وماذا أيضاً ؟

قلت لكم اني عندما فكرت بالكتابة « للاداب » ،
فكرت بالكتابة عن الادب والحياة الادبية في فرنسا ، عن
الشاعر كلوديل ومسرحياته ومعرض المكتبة الوطنية عنه ،
وعن مونترلان ، الروائي ، وقصته الجديدة « وردة
الرمال » . . وفكرت بالكتابة عن قصة محمد ديب
« رقصة الملك » ، وعن اشياء اخرى ، كثيرة وجميلة ،
لكني سرعان ما سمعت اصوات الاحبة ، صوت الصديق
احمد خليفة ، وهو في زنزانة الصهانية ، وصوت الشاعر
الاسير ، والطالب الفدائي ، والذين يحلمون بالفداء ،
انهم يقرأون « الاداب » . يريدون معرفة ما يقوله عنهم
الناس هنا ، عن القضية ، كلمات ، لا تنتظروا الكلمات ،
افعلوا ، انتم نجمة الحياة الجديدة .

عدنان ابراهيم

باريس

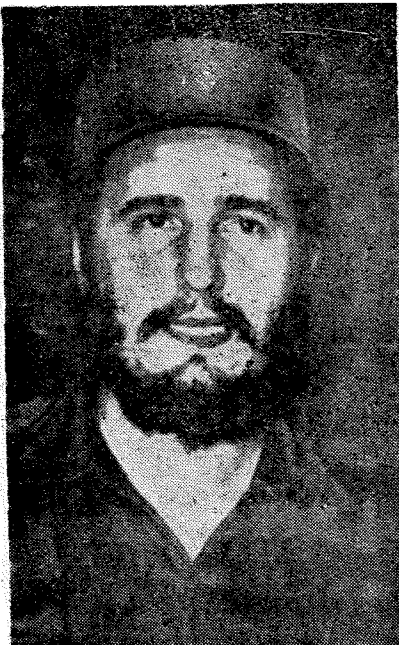
الاعلامية . . لكن لهذه السيطرة حدودا بدأت تتلاشى
امام اخبار الفداء واخبار السجين رفضوا الاستسلام
ورفضوا الخنوع وبادوا معارك التحرير الحقيقية ، معارك
الشعب !

لقد ذهبت بالامس ، مع الالاف ، الى مهرجان
المثقفين الفرنسيين ضد حرب فيتنام ، وهالتي المشهد ،
احسست بشيء يشبه الفيرة ، ولم لا ؟ نحن والفيتنام
نناضل من اجل قضية عادلة ، ذات القضية ، ذات
الاهداف : الحرية ، والسيادة الوطنية . .

وسالت اول فرنسي يساري لقيته :
- لماذا تتظاهرون من اجل شعب فيتنام البطل
وتنسون شعب فلسطين ؟
فاجاب :

- ان الثوري الحقيقي لا ينسى فلسطين ولا
نضال العرب ضد الامبريالية ، انها ذات المعركة فني
فيتنام وفي فلسطين . . ولكن دعنا نحكي بصراحة
وصدق . . لم ينتظر شعب فيتنام تأييدنا له ليبدأ نضاله
وحربه الشعبية ضد المعتدين ، لقد بدأ ثم لبينا صوته ،
لحقنا به . . كل الدنيا تعرف اليوم وتردد كل يوم اسم
فيتنام ، وكل الدنيا تجل وتحترم بطولة الشعب
الفيتنامي . . شعب ديان بيان فو ، وهانوي ، وحي سانه .

ترجمة فكتور سحاب



كاسترو يتكلم

فيديل كاسترو ، زعيم كوبا ، ومحرك الثورات
في اميركا اللاتينية كلها ، والمحرض الاول على
حروب العصابات ، والعدو للسود والخصم رقم 1
للولايات المتحدة الاميركية ، يتكلم . . .

انها آخر الخطب التي القاها الزعيم الكوبي ،
في مناسبات مختلفة ، سواء امام مندوبي الدول
الذين حضروا مؤتمرات سياسية للقارات الثلاث في
لاهافانا - وفيها اهم خطاب لكاسترو بعنوان « الطريق
الاساسية » - او بين جماهير الشعب الكوبي التسي
تنوافد بمئات الالوف للاستماع الى زعيمها وهو يفضح
سياسة الاستعمار العالي ءامة والاميركي خاصة .
ويبين هذه الخطب الخطاب الاخير الذي رثى

فيه كاسترو رفيقه في الثورة والنضال : ارنستو غيفارا . . .
كتاب رائع وهام لا بد للمثقف العربي من قراءته .

الثلثون ٣٥٠ ق . ل

صدر حديثا